

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ثم أما بعد:

ظهرت في الآونة الأخيرة مشكلة عانى منها الكثير من الملتزمين، لا أكاد أقابل أحداً من داخل الوسط الإلزامي أو خارجه إلا ويجزم بانتشارها، وهي ظاهرة يدمي لها القلب من تكرار حدوثها، ألا وهي ظاهرة انحراف (أبناء الملتزمين)، وقد بحثت كثيراً في الكتب والمواقع التربوية وللأسف ما وجدت عليها حلاً للمشكلة، إلا القليل الذي لا يتناسب مع حجم هذه المشكلة التي بدأت تتفشى بشكل مرعب.

نؤمن بحديث رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء»، ولكن حري بنا أن نأخذ بالأسباب التي تصرف أبناءنا للخير والهدى، ونحذر أشد الحذر من المزالق التربوية والتصرفات الخاطئة التي تقود أبناءنا للانحراف عن طريق النور.

لذلك حاولت التطرق في هذا البحث لهذه المشكلة ودراستها بشكل تحليلي؛ وتتبع لأسبابها وبواعثها والقضاء عليها من خلال العلاج، وقد حرصت كل الحرص أن أجري البحث على حالات واقعية ناتجة عن احتكاك سنوات بالعمل التربوي مع هذه الفئة على مستوى جميع الفصائل الإسلامية.

ولكن قبل أن نبدأ علينا أن ندرك أن أبناء الملتزمين كبقية البشر، يعانون من نفس المشاكل ويفرحون بنفس الأشياء، فلا تتخيل أن أبناء الملتزمين هم فئة خاصة لها تعامل تربوي خاص، ولا تتخيل أنك ستقابل في هذا البحث حلاً سحرياً ينجز المهمة التي أثقلت كاهلك، فالأمر كله تصحيح لبعض الخبرات التربوية الخاطئة، وتبسيط للأضواء على استرشادات ناجحة في طريق تربية الأبناء.

عبد الرحمن ضاحي

تَهْنِئَاتٌ

مع بداية الصحوّة الإسلاميّة في السبعينيّات والثمانينيّات وانتشار الوعي الديني في الأرجاء، وحين عزم هذا الجيل جيل الصحوّة على الزواج ظننا بل تيقنا أنهم سيُخرجون للأمة الإسلاميّة جيل النصر والتمكين الذي على يده سيكون النصر للإسلام، ولكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن، وجدنا أنهم أخرجوا جيلاً غير المتوقع إلا من رحم الله، جيلاً سلك سبلاً أخرى غير الالتزام بالشرع، جيلاً ينطبق عليه قوله تعالى والعياذ بالله ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَكُرُوا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦]، جيلاً متمرداً على توريث الالتزام رافعاً شعار «لن أعيش في جلباب أبي».

فكلما طرقت هذا الباب مع بعض الأفراد من التيار الإسلامي أجده متألماً متوجعاً منه، ووجدت الشكوى منه متكررة، فيبدو أننا نؤتى من قبله ونحن لا نشعر، ينشغل أحدنا بتربية الأفراد في المساجد ودعوة الناس ولا يدري بالجرح الغائر في بيته والوباء الذئ الذي بدأ

يحل على أغلب بيوت التيار الإسلامي، إنه داء «أبناء الملتزمين» الذي ظن البعض يوماً أنهم من سيكونون إضافة للصحة الإسلامية، ولكن وللأسف صاروا عبئاً ثقيلاً وصاروا علامة تعجب تربوية كبيرة.

- ١- ملتزمٌ التزاماً شخصياً دون أي جهد دعوي يفعله.
- ٢- يكتفي بأداء الفرائض مع التساهل فيما يتساهل فيه كثير من الناس من جلوسٍ على المقاهي وسماعٍ للأغاني.
- ٣- البعض تستهويه تيارات فكرية أخرى، غير إسلامية، تجذبه إليه بشعاراتها البراقة.
- ٤- مقتنع بالالتزام وضرورة التمسك بالشرع ولكن غير منفذٍ له.
- ٥- غير مقتنع بالالتزام ولا بالتطبيق، مع الوصول إلى دركات انحراف منحطة كالخمر والزنا وموبقات أخرى.

ومن هنا يأتي السؤال؟

ما سبب هذا الداء الذي دب في صفوف الملتزمين؟!، ولماذا لم يخرج من أصلاهم الجيل المنشود؟!، ومن السبب في خروج هذه الأمثلة من الأبناء؟!.

وقبل أن ندخل في الأسباب والعلاج أود أن أطرح بعض القضايا المتعلقة بالتربية لتكون بمثابة تمهيداً لدراسة للمشكلة:

١- تعريف التربية:

«هي مجموعة المعلومات والخبرات التي نحتاج إليها في طرق تهذيب الأبناء وتنشئتهم النشأة الصالحة، وفي التعامل مع مشكلاتهم وأخطائهم... وأيضاً هي عملية معقدة جداً، تتطلب قدرًا من المعرفة والحكمة، وقدرًا جيدًا من الاتزان الانفعالي لدى المربي، إلى جانب قدرًا من الخبرة والممارسة العملية»^(١).

٢- هل تربية الأولاد فرض أم سنة؟

تربية الأولاد فرض، وهو أمر من الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، وهذا أمر من المولى عز وجل بوقاية النفس والأهل من النار، وذلك لا يكون إلا بالتوجيه والتربية، فالمفروض في تربية أولاده آثم، لقول رسول الله

(١) «القواعد العشر» عبد الكريم بكار ص [٨].

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١)، فترية الأولاد فرض وليست سنة أو عمل مستحب.

٣- هناك أطفال صالحون بدون أي جهد تربوي، وهناك

فاسدون مع بذل الجهد التربوي معهم، فما هذا اللغز؟!

هناك نوعان من الهداية:

١- هداية إرشاد ودلالة: وهي الهداية عن طريق الإرشاد

إلى طريق الطاعة التي يرضاها الله، وهو الجهد المبذول من النبيين والمرسلين مع المدعوين؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] وأيضًا هو الجهد المبذول من الآباء والمربين مع الأبناء لتحقيق المستوى الأعلى من هداية الإرشاد وهي هداية التوفيق.

٢- هداية توفيقية: وهي مستوى هداية أعلى من هداية

الإرشاد والدلالة؛ لأنها من الله، وهي تحدث بالاصطفاء من الله لأنه يعلم السر وأخفى، فسبحانه القائل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ

(١) «صحيح البخاري» [٨٩٣]، «صحيح مسلم» [١٨٢٩].

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴿٥٦﴾ [القصص: ٥٦]، وقال أيضاً: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال أيضاً على لسان نوح: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤].

فنقول: إن الأطفال الصالحين بدون جهد تربوي، قد منَّ الله عليهم بهداية التوفيق، أما الأطفال الفاسدين مع بذل المجهود التربوي معهم، قد تحقق معهم هداية الإرشاد والدلالة؛ ولكن ينقصهم هداية التوفيق، وهي من عند الله، فعليهم بالدعاء والتضرع إلى الله ومراجعة أسلوب هداية الإرشاد والدلالة، فمن الممكن أن يكون خاطئ.

